International Journal of Accounting and Management Sciences
ISSN: 2832-8175 (Special Issue – Arabic - September 2022)
https://scipubhouse.com/?page_id=1035

# Philosophy of Ethics - A Study of the Functions, Relativity, and Release of Ethics and Sources

**Osama Ali Zain-Alabideen**
Political Science Department, School of Administrative Sciences,
Applied Science University – Bahrain
https://www.doi.org/10.56830/TMPT1407

## Abstract

The term ethics revolves around the values of good and evil or the image of the good life and the life of sin. The angles of view of ethics have varied by human societies in a different period, so the research was devoted to addressing the functions of ethics related to building the individual and society together, as well as dealing with the sub-functions of ethics towards both the individual and society. The research also clearly indicated the differences of scholars and researchers related to the relativity and release of morals, and the research dealt in depth with the positions and defenses of the first group that called for the relativism of morals and opposed absolute values, and in return it dealt with the parts and defenses of the second group rejecting the first call and calling for the release of morals, and in the same direction the research dealt with the positions of Islam and messages Celestialism (Islam is a model) of relative dialectic and the launch of ethics, the research also dealt with the dialectic of ethics and politics on the one hand, and ethics and law on the other hand, and finally the research dealt with the sources of ethics that varied according to the different schools of thought, philosophical and ideological, and it was dealt with the most important points that were dealt with in the research Then the most important results and the most important recommendations of the research.

International Journal of Accounting and Management Sciences
ISSN: 2832-8175 (Special Issue – Arabic - September 2022)
https://scipubhouse.com/?page_id=1035

# فلسفة الأخلاق- دراسة في الوظائف، ونسبية وإطلاق الأخلاق والمصادر

**د/ اسامه على زين العابدين**
استاذ العلاقات الدولية المشارك – قسم العلوم السياسية – جامعة العلوم التطبيقية – مملكة البحرين

**تمهيد:**

مصطلح الأخلاق يدور حول قيّم الخير والشر أو صورة الحياة الخيرة وحياة الشرور، وقد تباينت زوايا النظر للأخلاق من قبل المجتمعات البشرية باختلاف فتراتها الزمنية، لذا خصص البحث لتناول وظائف الأخلاق الخاصة ببناء الفرد والمجتمع معا، كما تناول وظائف الأخلاق الفرعية تجاه كل من الفرد والمجتمع، أيضا أشار البحث بوضوح إلي اختلاف العلماء والباحثين المتعلق بنسبية وإطلاق الأخلاق، وتناول البحث بعمق مواقف ودفوعات المجموعة الأولي التي دعت إلي نسبية الأخلاق وعارضت القيم المطلقة، وبالمقابل تناول مواقف ودفوعات المجموعة الثانية الرافضة لدعوة الأولي ونادت بإطلاق الأخلاق، وفي ذات الاتجاه تناول البحث مواقف الإسلام والرسالات السماوية(الإسلام نموذجا) من جدلية نسبية وإطلاق الأخلاق، أيضا تناول البحث جدلية كل من الأخلاق والسياسة من جهة، والأخلاق والقانون من جهة أخري، وأخيراً تناول البحث مصادر الأخلاق التي تباينت بتباين المدارس الفكرية والفلسفية والأيديولوجية، ومن تم تتناول أهم نقاط تم تناولها في البحث ثم أهم النتائج وأهم توصيات البحث.

**١/ أهمية الأخلاق:**

الأخْلاقُ مهمة للأفراد والمجتمعات معاً، مكارم الأخْلاقُ ضرورة اجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فُقُدتْ الأخْلاقُ التي هي الوسيط الذى لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه، تكفل أفراد المجتمع، وإلا تصارعوا وتناهبوا، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار(١)، والأخلاق هي الحياة الهانئة والمستقرة في جميع نواحيها وهى الخير كله، وذلك ما أشارت إليه الدكتورة/ سناء خضر بقولها " إن الأخلاق تنمو من نفس الجذر الذى ينمو منه توليد العالم والحياة، لأن الأخلاق ليست هي الأخرى غير احترام الحياة وهذا هو ما يزودنا بالمبدأ الأساسي في الأخلاقيات، ونعنى بذلك أن الخير هو في حفظ الحياة وترقيتها وتقويتها، وأن الشر هو تحطيمها وتضيق آفاقها(٢)، وبذلك تؤكد بأن غاية الأخلاق تتسع كلما عقدت صلة وثيقة بينها وبين نظرية في الكون تؤكد العالم والحياة، هنالك يكون هدفها إكمال الفرد الباطن وفى ذات الوقت توجيه نشاطه بحيث يؤثر في غيره من الناس وفى العالم الموضوعي، وبذلك تصبح الأخْلاقُ مدعاة للثقة وضمان للحقوق وصمام الأمان للتعايش السلمى بين أفراد المجتمع والأمن والاستقرار، ومن المؤكد أن الأخلاق هي القوة الروحية الكبرى التي استطاعت أن تعلو بالإنسانية إلى مستوى أرقى بكثير من كل ما كانت تتمتع به في ظل "التلقائية" المحضة أو "الطبيعية: الخالصة(٣).

الأخْلاقُ تمثل صورة الإنسان الباطنية، الأخْلاقُ الفاضلة تعمل دوما على تنمية وتذكية بواعث الخير في النفس البشرية، والأخْلاقُ الفاضلة تفضى إلى سلوكيات (أقوال –أفعال) فاضلة مثل: الصدق في القول والعمل، والصدق قيمة أخْلاقيةُ دعت لها كل الأديان والتيارات والفلسفات البشرية، ودعا إليها المصلحون لأنها فضيلة الفضائل والأساس الذى تتفرع منه جميع السلوكيات الحسنة والحميدة، وهو من أهم الضروريات الاجتماعية لو لاه لما استقامت حياة الأفراد داخل المجتمع، ولما استقامت حياة المجتمع نفسه، لو لا الصدق لتفشة الرذيلة والجريمة ولطُمس الحق في المجتمع، ولتوقف تفاعل المجتمع في الأخذ والعطاء، الصدق أحد عناصر التقدم أو التخلف في المجتمع، أبرز سمات المجتمعات المتقدمة والمتحضرة في الماضي والحاضر، والكذب سمة المجتمعات المتخلفة في الماضي والحاضر.

الوفاء بالعهود والمواثيق، مثال آخر للقيم والمثل الفاضلة التي تمثل ضرورة اجتماعية، بالمقابل نقض العهود والمواثيق رذيلة خُلُقية، والحياة الاجتماعية قائمة في الأساس على العقود والمواثيق بدأً من عقد الزواج ومروراً بعقود التجارة وغيرها وانتهاء بعقود السياسة، وعدم الوفاء بالعقود والمواثيق يعنى فساد الحياة الاجتماعية، وهذا ما ذهب إليه الدكتور/ كايد قرعوش وأخرون عندما قالوا" إن الناس في حياتهم محتاجون إلى بعضهم بعضاً، ولا يمكنهم الاستغناء عن الصلات الحميدة التي تقوم عليها حياتهم وتتحقق بها مصالحهم، وأنهم من أجل ذلك يعقدون صفقات مع غيرهم، ويعطون أو يأخذون عهداً ومواعيد لاستكمال تلك المصالح، ويضعون تصورات وخططاً بناءً على تلك الوعود، فإن إخلاف المواعيد والعهود يترتب عليه عرقلة تلك الخطط وإحباط التصورات وهذا يؤدى إلى خيبة الأمل والإضرار العام لمصالح الناس(٤)، والوفاء بالعهود والمواثيق يعنى الالتزام بإقامة ضوابط الحياة، بالمقابل أن نقض العهود والمواثيق من أقبح رذائل الخُلُقْ ويؤدى بصورة مباشرة ومؤكدة إلى الإخلال بضوابط المجتمع في جميع ميادين الحياة.

تؤدى الحياة الخُلُقية الفاضلة للأفراد إلى تكوين أسر وعوائل فاضلة لان الفرد نواة الأسرة، الرابطة الأخلاقية بمثابة الخيط الناظم لتعاضد الأسرة وتراحمها وتواددها، الأسرة والعائلة عديمة الأخلاق سرعان ما تنعدم الثقة بين أفرادها، وتنعدم تبعاً لذلك الطمأنينة بينهم، وتبعاً لذلك يدّبُ الخلاف والشجار بين أفرادها وتعم مشاعر العداء بدلاً للتراحم والترابط العائلي الذى يمثل المدخل الأساسي لتماسك وتراحم المجتمع، وبما أن الأسرة نواة المجتمع تؤدى الأسرة الفاضلة إلى تكوين مجتمع الفضيلة والقيم والمثل الحميدة، وحتماً سوف ينعم بذلك أفراد المجتمع بالسعادة والأمن والاستقرار.

**٢/ وظائف الأخلاق:**

بناء الفرد: لعبت الأخلاق الفاضلة الدور الأبرز في إيجاد المواطن الصالح صاحب المثل والقيم الخُلُقِيّةَ التي تمنع الإنسان بأن يلقى بنفسة في طرق المهالك ومسالك السوء، وعملت كمحفز وداعم لبواعث الخير فيه، والفرد الصالح نواة للمجتمع الصالح، والأخلاق الحسنة تزين الفرد بصفات حسنه، يتمناها ويتطلع إليها الصالحون والمصلحون لا نفسهم وذويهم، وهى فضائل لا ترقى إليها شبهة جاء ذكر معظمها في كتاب إحياء علوم الدين للشيخ/ أبى حامد الغزالي تحت عنوان علامات حسن الخُلُقْ: الإيمان- كثير الحياء –قليل الأذى – كثير الصلاح – صدوق اللسان- قليل الكلام كثير العمل – قليل الزلل- قليل الفضول- براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً راضياً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً – لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً – بشاشاً هشاشاً يحب في الله ويبغض في الله – يرضى في الله ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق(٥).

عموماً تتمثل وظيفة الأخلاق في بناء الأفراد في الوظائف التالية (٦):

تذكية بواعث الخير في الفرد.

تذكية روح الأخوة الإنسانية.

تأسيس الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية.

تعزيز روح الطاعة للنظام الأخلاقي.

تعزيز روح التعلق بالمجتمع.

تكوين شخصية قوية متحدة الذات.

المؤكد أن الإسلام وكل الرسالات السماوية والفلسفات والمذاهب العقائدية اهتمت بتربية وإصلاح الفرد كمدخل لإصلاح المجتمع، لأن الفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع، والدعوات الإصلاحية تبدأ

طريقها من الفرد لا الجمهور، يقول الدكتور/ مصطفى السباعي: أن الذين صنعوا التاريخ والدول وأقاموا الحضارات، وهتكوا حجب الجهل، وارتادوا أفاق العلم، الذين غيروا مجرى التاريخ، وأحدثوا أكبر الأثر في حياة أمتهم أو حياة الإنسانية، هم أفراد قويت إرادتهم واستقامت أخلاقهم، وخلت حياتهم من كثير من الأفات النفسية والخُلُقيةَ القاتلة (٧)، ويؤكد أن الجماهير تظل دائماً كالجسم في حاجة إلى عقل يدبر ورأس يفكر وهو بالطبع الفرد الصالح (الأخلاقي).

بناء المجتمع: الأخلاق وسيلة هامة لبناء الأفراد والمجتمعات، ولها مقدرة فائقة في التغلغل في كل التفاعلات الاجتماعية بمختلف صورها وأشكالها بشقيها الصالح والطالح (الحَسُنْ-القَبِيحْ)، وهذا ما ذهب إليه الدكتور/ محمد الجبر بقوله" إن الأخلاق لديها المقدرة على أن تتغلغل في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية: فمتطلباتها ومحرماتها وقيمها توجد في الاقتصاد والسياسة والنشاط المهني والعلاقات الزوجية الجنسية والتعليم والتربية.....الخ(٨)، والأخلاق أحدى أدوات الضبط الذاتي في العلاقات الاجتماعية، وتلعب القيم الأخلاقية كموجه لسلوك المجتمع، وفى عالم القيم فأنها ترتبط مباشرة بمسألة أية منظومة من القيم يطرحها المجتمع، والمجتمع الذى تسوده القيم والمثل القيمية والأخلاقية، مجتمع متراحم مترابط، المحبة والتكافل أبرز سماته، والأخلاق الحسنة والحميدة تسرع مجرى تطوره، بالمقابل الأخلاق السيئة تعرقله.

أهم وظيفة للأخلاق في بناء المجتمع تتمثل في الوظائف التالية (٩):

بناء مجتمع قوى مترابط أمن ومستقر.

بناء مجتمع متقدم ومتطور وحديث.

بناء مجتمع السعادة والرفاه.

**٣/ نسبية وإطلاق الأخلاق:**

اختلف العلماء والباحثون حول نسبية وإطلاق الأخلاق، وعلى ضوء ذلك انقسموا إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: دعت إلى نسبية الأخلاق وعارضت القيم المطلقة، والنسبية أحد الأنماط الكبرى أو الرئيسية المتعلقة بطبيعة الأخلاق، وهي: أي النسبية وضع فلسفى يرى كل وجهات النظر إنها صحيحة، وكل الحقائق نسبية للفرد، وهذا يعنى أن كل الأوضاع الأخلاقية وكل الأنظمة الدينية وكل الأشكال الأدبية، وكل الحركات السياسية هي حقائق نسبية للفرد (١٠).

يعتقد بعض أصحاب الفلسفة النسبية أن القواعد الأخلاقية لا تسمح بصياغة حكماً أخلاقياً أصيلاً، وبتلك العبارات تصبح الأخلاق متحركة ومتغيرة ومتبدلة تبعاً لاختلاف البيئات المكانية والزمانية والمجتمعات ، فهي نسبية ، أي غير مطلقة وغير ثابتة، تبنى هذه الفلسفة، فلاسفة المدرسة السفسطائية التي اعتبرت الأخلاق وضعية ومتغيرة ومتنافية مع طبائع البشر، ومن أقدم فلاسفة السفسطائية الذين عاصروا أفلاطون " بروتاجوراس" صاحب النظرية القائلة "ان الإنسان هو مقياس كل الأشياء "بما في ذلك الحق، ولم يجد أفلاطون صعوبة في تفنيد النظرية النسبية(١١)، الفلسفة السفسطائية ردت المعرفة إلى الحس فأطاحوا بالحقائق الثابتة في مجال المعرفة وأكدوا بأن الأخلاق في مجال المعرفة نسبية متغيرة وليست مطلقة، وأبطلوا القول بالمبادئ المطلقة في مجال الأخلاق، والقيم والمبادئ عندهم في مجال الأخلاق نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان وتختلف باختلاف الظروف والأحوال، وأصبحت بذلك الحقائق والقيم جميعها غير موضوعية لديهم.

كذلك تبنها أصحاب المذهب البراغماتي (المنفعة)، الأخلاق نسبية ومتغيرة في تقديرهم باعتبار المنفعة، ومتغيرة على حسب الأفراد واختلاف منافعهم وعلى حسب الظروف.

أيضاً تبنى هذه الفلسفة أنصار المذهب الاجتماعي الذين يرون أن المجتمع بطبعه لا يبقى على حاله ، وبذلك اشترك أصحاب المذهبين (البراغماتي- الاجتماعي) في نقطة أساسية وجوهرية ألا وهى اعتبار القيم الأخلاقية مبادئ نسبية ومتغيرة (١٢)، وبذلك يرون أن الصواب والخطأ يختلف باختلاف الثقافة التي يحملها المجتمع ، كما أن القيم والمبادئ الأخلاقية للمجتمعات تختلف قيمتها باختلاف الزمان والمكان وتبعاً لذلك تختلف الأخلاق من مجتمع لأخر ولا توجد أخلاق مطلقة وثابته لكل البشر في كل الأزمنة والأمكنة، فريدريك نيتشه أنكر وجود قيم أخلاقية مطلقة أو معايير ثابتة لا تتغير، ورفض القول بإرجاعها إلى الله كما أنكر القول بردها إلى العقل، فأنكر بالتالي وجود خير في ذاته أو حق في ذاته، ورد المعايير إلى الإنسان الذى يتغير بتغير ظروفه وأحواله(١٣).

من دعاة النسبية الفيلسوف الاقتصادي الإسكتلندي دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦) الذى قال "الواجب الأخلاقي إلزام صادر عن المنفعة وضرورات المجتمع ، أن الأحكام خاضعة للعرف والعادة والبيئة الاجتماعية فجريمة واحدة قد تصادف أحكاماً مختلفة باختلاف الظروف والأحوال، كما أن الحكم على الأفعال بالخير أو الشّر راجع إلى عاطفة أو إحساس نابع من التجربة والمجتمع اللذين يجعلان الإنسان يتثبت بالحسن لما يجلبه له من منفعة ويبتعد عن القبيح لما يجلبه له من ضرر(١٤)، هذا التوجه أكده الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كايم (١٨٥٨-١٩١٧م) بقوله " أن الضمير الأخلاقي تعبير عن صوت المجتمع وهو يتردد داخل الذات الفردية بلغة الأمر والنهى مما يجعله يتمتع بسلطة قاهرة ويمنح بالضرورة لقواعد السلوك الفردي صفة الإكراه المميزة للإلزام الأخلاقي ، وأكد هذا التوجه بقوله " لسنا سادة تقويمنا الأخلاقي بل المجتمع" ، وقال " إذا تكلم الضمير فينا فإن المجتمع هو الذى يتكلم"(١٥)، ويرى دور كايم بذلك أن الأخلاق مرتبطة بالمجتمع وإن قيم ومبادئ المجتمعات تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وبذلك تصبح الأخلاق نسبية ومتحركة ومتغيرة ، وعليه لا توجد أخلاق عالمية مجردة يمكن أن تسود المعمورة ولكل فرد الحق أن يقرر المقياس أو المعيار الأخلاقي بنفسه ولنفسه، وليس من حق الأخرين أن يحكموا على سلوكه بالخطأ أو الصواب ، وليس من حق هذا الفرد أن يحكم على سلوك الأخرين بالصواب والخطأ، بل الأخلاق قد تختلف لدى الفرد الواحد باختلاف حالاته الوجدانية في تقدير دعاة النسبية.

حسب الرؤية الفلسفية للنسبية لا يستطيع أحد أن يقول الحق والصواب بجانبي بما أن هنالك شخص يحمل وجهة نظر مختلفة ، فمقياس السلوك ذواتنا ،وبذلك لا توجد حقيقة مطلقة بل أن الحقائق تتباين وتتفاوت تبعاً للأفراد والجماعات وتبعاً للظروف المكانية والزمانية ، وبذلك أكد فلاسفة النسبية أن الأخلاق إجمالاً مسالة نسبية ،أي أن حالة ما في زمان ما ومكان ما وفى ظرف ما تكون حسنة وأخلاقية ، ونفس هذه الحالة في زمان أخر ومكان أخر وظرف أخر تكون سيئة وغير أخلاقية ، بل يمكن لهذه الحالة في نفس الزمان والمكان والظروف يراها فرد حسنة وأخلاقية ويراها أخر سيئة وغير أخلاقية ، وفى حالات وظروف أخرى تتباين مواقف الأفراد حيالها ، وهذه هي النسبية الأخلاقية، عموماً النظرية النسبية تمثل فجر أو بداية النقد الذاتي أو الانفصال العقلي أو القدرة على تقييم القانون الأخلاقي الخاص بشخص معين وفق القوانين الأخلاقية لمجتمعات أخرى(١٦).

المجموعة الثانية أو دعاة النظرية المطلقة أو المدرسة الواقعية التي ترفض دعوة الأولى (النظرية النسبية) وتنادى بإطلاق الأخلاق، فالأخلاق مبادئ وقيم مطلقة وثابته في كل الأزمنة والأمكنة وواحدة

عند جميع البشر الخير عند جميع البشر هو الخير والشر عندهم هو الشر، وكذلك تتميز الأخلاق المطلقة بالموضوعية واستقلالها عن الأفراد وتعاليها عليهم، النظرية المطلقة تجمع بين ثلاثة عناصر هي اتجاه عميق الجذور، ونشط في الحالات النفسية ولها تراث فلسفي قوى لصالحها، كما إنها تصنف الحجج العقلية ضد النظرية النسبية(١٧)، ويعتقد دعاة مدرسة ثبات الأخلاق، ان المذهب النفعي جعل الإنسان مثل الحيوان من خلال تتبعه لغرائزه وتحقيق شهواته فقط، والمذهب الاجتماعي كذلك سلب من الإنسان حريته وجعله مجرد دمية في يد المجتمع يتحكم فيه كما يشاء دون وعى ولا إرادة من هذا الإنسان(١٨)، النسبية تجعل المجتمع هش سريع الانحلال، فالأخلاق هي الرابط الاجتماعي كالرابط العنصري في تماسك المجتمع(١٩).

موقف الإسلام والرسالات السماوية من إطلاق ونسبية الأخلاق (الإسلام نموذجاً):

تباينت وجهة نظر فقهاء الإسلام في مسألة النسبية والإطلاق، حيث أنقسم فقهاء المسلمين وفلاسفتهم بين مناصر ومؤيد للنظريتين المتنافستين (النسبية – الإطلاق) وتأرجحت مواقف الفئة الثالثة بين الفئتين:

الفئة الأولى: دعاة ومناصري مدرسة ثبات وإطلاق الأخلاق، يعتقدون أن الأخلاق ملازمة للدين والقيم الأخلاقية ليست وليدة ظروف الناس وعاداتهم وتقاليدهم ومن أمثال هؤلاء الأشاعرة الذين قالوا: لا حسن ولا سيء وإنما الحسن والقبح مجرد كونه مأمورا به ومحظوراً، وذلك فرق يعود إلى حظ العبدُ، وهؤلاء يدعون الفناء عن الحظوظ(٢٠)، وبذلك لم يتركوا مجالاً للعقل أن يميز بين حسن الأشياء وقبحها وردوا الأمر كله إلى الشّرع الإسلامي وبذلك أصبحت الأخلاق عندهم مطلقة وليس نسبية ويتضح ذلك من قولهم" لا شيء حسن في ذاته ولا شيء قبيح في ذاته، وإنما الحسن هو ما جعله الشّرع حسناً بالثناء على فاعله، والقبح ما جعله الشّرع قبيحاً بذم فاعله(٢١)، الدكتور/ عبداللطيف محمد العبد يعتقد أن مقياس الفضائل والرذائل هو الشّرع، والفضيلة عنده ما حكم الشّرع بفضلها وحلها، والرذيلة ما حكم الشّرع بقبحها وحرمتها، ويعتقد بأن للعقل المستقيم دوره لأن الشّرع لم يأت بما يناقض العقل السليم، وأكد إطلاق وثبات الأخلاق في الإسلام بصريح العبارة بقوله: فالأخلاق الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقاً بالأوامر والنواهي الإلهية، الأخلاق الإسلامية لا تتغير بتغير الأشخاص والأماكن والأزمان، لأن أوامر الله تعالى ونواهيه لا تغيير فيها ولا تبديل، وكلها موجهة لتحقيق أهداف أخلاقية سامية(٢٢).

الفئة الثانية: مناصرة ومؤيدة لمدرسة (نظرية) النسبية، نذكر منهم على سبيل المثال وليس للحصر:

المعتزلة الذين ردوا الأمر كله للعقل، واعتمدوا على العقل في معرفة الخير والشر والحُسن والقُبح، وذلك ما أكده أحمد امين في كتابه (ضحى الإسلام) "ان المدلول الحقيقي لرأى المعتزلة: قال المعتزلة بسلطان العقل في معرفة الخير والشر، فليس الخير يفرض من الله فرضاً على الأشياء، ولا الشر كذلك (٢٣)، ويعتقدون أن الخير مطلق، والشر مطلق كذلك والأمر يرجع إلى صفات الأفعال الذاتية كما يتعرف عليها العقل لأنه الحكم في معرفة الحسن والقبح أو الخير والشر وهما لا يتغيران طبقاً للاعتبارات المختلفة.

أبى حامد الغزالي، من أبرز فلاسفة المتصوفة الداعمين لفلسفة نسبية الأخلاق، فالأخلاق عنده قابلة للتغيير حيث يقول في كتابه إحياء علوم الدين" لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله(ص) حسنوا أخلاقكم، وكيف ينكر هذا في حق الأدمي وتغيير خُلُقْ البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستحياش إلى الأُنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق(٢٤)، لذلك يعتقد لو كانت الأخلاق تتميز بصفة الثبات وغير قابلة للتغيير لكانت عبثاً مجهودات المصلحيين الأخلاقيين في تقديره، والفضيلة عنده وسط بين طرفين، والاعتدال واحد معياره العقل والشرع معاً، والشجاعة وسط بين التهور والجبن،

والحكمة عنده وسط بين الإفراط والتفريط، ، والحكمة هي فضيلة النفس العاقلة، وبالحكمة تدرك النفس الفرق بين الصواب والخطأ وبين الصدق والكذب في الأقوال والأفعال، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة.

أبوبكر جابر الجزائري، يعتقد أن الخُلُقُ هِيئةُ قابِلَةُ بطبْعِها لتأثِيرِ التربِية الحسنَةِ والسيئَةِ فيها، فإذا ما رُبيتْ هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف، والرغبة في الخير، وروضت على حب الجميل، وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعاً لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف قيل فيه: خُلُقُ حَسَنٌ، كما أنها إذا أهملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يُعْنَ بتنمية عناصر الخير الكامِنَةُ فيها، أو ربيت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوباً لها والجميل مكروها عندها، وصارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال الذميمة التي تصدر عنها بدون تكلف قيل فيها: خُلُقُ سيئ، وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التي تصدر عنها بالأخلاق السيئَةِ(٢٥)، ونرى التطابق شبه الكامل بين ما ذهب إليه الشيخ أبى حامد الغزالي والشيخ/ أبوبكر جابر الجزائري بأن الأخلاق تتصف بصفة النسبية وغير مطلقة أو ثابتة.

الشيخ محمد الغزالي يعتقد بأن الأخلاق نسبية ومتغيرة، ويتضح ذلك من قوله" فإن شئون الحياة نسبية كلها، قلما يوجد فيها خير محض أو شر محض، وطبائع الأشياء ومعادن الناس من طبائع هذه الأرض ومعادنها، ومعانى الحياة كمعادن الأرض لا يجوز أن ننتظر وجودها في أيدينا مصفاه من كل شائبة، مبرأة من كل عيب بل سيقترن الخير بالشر، ويقترن الطيب بالخبيث، وعلينا أن نأخذ من كل شيء خيره(٢٦)، ويعزز الشيخ/ محمد الغزالي ما ذهب إليه سابقاً بأن الإسلام نظر إلى هذه الأمور نظرة صادقة وثاقبة، فما غلب خيره شره أبيح، وما غلب شره خيره حُرّمْ، وعلى هذا الأساس حُرّمْ الخمر والميسر.

الفئة الثالثة وقفت موقفاً وسطاً بين الفئتين السابقتين عبر عنها الدكتور/ محمد المجذوب بقوله" الأخلاق في الإسلام تتسم بخاصية المرونة، دون أن تبتعد عن معاني الشريعة أو تشذ عنها، فالمرونة هي التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وفيها نوع من الاجتهاد، وتجمع بين الإطلاق والنسبية (٢٧).

**٤/ جدلية العلاقة بين الأخلاق والسياسة:**

السياسة عرفها البعض بأنها: طرائق قيادة الجماعة البشرية وأساليب تدبير شؤونها لما يعتقد أنه خيرها ومنفعتها، أما الأخلاق هي مجموعة القيم والمثل الموجهة للسلوك البشري نحو ما يعتقد أيضا أنه خير وتجنب ما ينظر إليه على أنه شر (٢٨)، وقد بدأ الجدل الكثيف والمناظرات الفكرية حول جدلية العلاقة بين الأخلاق والسياسة منذ العصر الإغريقي وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا ولا أعتقد بأنه سوف يتوقف قريباً.

عموماً الإنسان كائن أو قل حيوان أخلاقي، كما ذهب كأنط ( Kant) أن الأخلاق خاصية لسلوك الإنسان وحده دون غيره ، والانسان هو وحده الموجود الحامل للقيم الأخلاقية ، وهذا ما أكده هارتمان (Hartman) " أن الانسان الكائن الوحيد الذى لا يتحدد وجوده إلا من خلال علاقته بالقيم " وهذا ما لخصه هيجل (Hegel) في عبارته الجامعة " الأخلاق طبيعة ثانية للإنسان ، لان طبيعته الأولى هي وجوده الحيواني المباشر(٢٩)، ومنذ فترة طويلة وتحديداً منذ العهد الإغريقي سيطرة الأخلاق على السياسة وكان دور الدولة ذا بعد أخلاقي، ولم يتم التمييز بينهما (الأخلاق -السياسة) بوضوح الا في القرن السابع عشر عندما أصبح دور الدولة ذات طبيعة منفعية، جدلية العلاقة بين الأخلاق والسياسة لم تحظى بإجماع من جميع الباحثين والمهتمين بهذه العلاقة، بل توزعوا إلى المجموعات التالية: المجموعة الأولى ترى أن العلاقة بين الأخلاق والسياسة علاقة عضوية يصعب تجزئتها، ومهما تباعدت الشقة بين الأخلاق والسياسة يظل السلم والنظام السلمى هدفاً لكل منهما، وكلاهما يدعوا إلى إيجاد منظومة معينة من المبادئ

والعلاقات الانسانية والدفاع عنها، وأبرز الأمثلة تجسيداً لهذه العلاقة: الفلسفة السياسية الكونفوشيوسية التي رأت أن الإصلاح الاجتماعي يبدأ من الرأس (الحاكم)، وأن تنظيم الفضيلة(الأخلاق) يتم عبر الحكام- تنظيم الدولة- وتنظيم الدولة يتم عبر تنظيم العائلة، وتنظيم العائلة يقتضى تهذيب الذات(٣٠).

المجموعة الثانية تعتقد بوجود إمكانية أو فرصة للدمج بين السياسة والأخلاق رغم أنهما تفترقان، وأن طابع المبادئ والعلاقات التي تعالجها السياسة تختلف نوعا ما عن تلك التي تتناولها الأخلاق حيث تصل إلى حد التعارض عند ميكافيلي الذي يغلّب السياسة على الأخلاق في كتابه "الأمير"، ليظهر السلوك الميكافيلي كما لو أنه يتنكر صراحة لجميع الفضائل الأخلاقية حين يبرر استعمال كل الوسائل لتحقيق الغايات السياسية(٣١)، وأكد البعض هذا الاعتقاد عندما قالوا أن الأخلاق والسياسة مختلفتان بطبيعتيهما، ولكنهم أشاروا إلى عنصر مهم في هذه العلاقة عندما قالوا من المحال احتواء إحداهما للأخرى، لكن يمكن دمجهما في تفاعل متبادل ترعاه أجواء الحرية والاعتدال، لأن الأخلاق السياسية لا يمكن أن تنمو وتتطور في مناخات التطرف والعنف والغلو ومع غياب حقوق المواطنة والعدالة والمساواة والمشاركة، وفى تقدير هؤلاء أن الاستبداد دائما يقضى على القيم الانسانية والمثل الخيرة لكى يحمى مكاسبة موقتاً ، وبالمقابل يشيع قيم الذل والمهانة والخنوع والرذيلة حتى يطول أجله.

المجموعة الثالثة تقول بأن هنالك مجالين واضحين ومتميزين ولا يجوز الخلط بينهما وهما (٣٢):

مجال الأخلاق الذي ينظم سلوك الفرد.

مجال السياسة الذي ينظم سلوك الجماعة بما يفرضه من قوانين سياسية هي التي تحكم هذه الجماعة في النهاية.

بدورنا نقول لا أعتقد أن الفصل والتمايز والتباين بين مجالي الأخلاق والسياسة بهذا العمق، في السابق وتحديداً في المجتمعات البدائية أو قل العصور القديمة وقبل تواجد اشكال الحكومات بصورها المتقدمة أو بشكلها الحديث كانت العادات والتقاليد أو ما يعرف بالعرف الاجتماعي أو الأخلاق هي التي تنظم علاقات الافراد داخل المجتمعات وتنظم حياة المجتمعات ، وكانت الأخلاق تمثل السياسة ، والسياسة تمثل الأخلاق ولا يوجد تمايز وشرخ بينهما، ميدان الأخلاق والسياسة واحد، وهذا ما ذهب إليه صاحب الرأي السابق نفسه وهو الدكتور/ إمام عبدالفتاح إمام عندما قال " أن مبادئ السياسة الحقة هي نفسها مبادئ الأخلاق(٣٣)، لذلك قواعد الأخلاق منبثقة من الضمير ومتجهة نحو الفرد والجماعة معاً، وقواعد السياسة منبثقة من القيم الاجتماعية ومتجهة نحو المجتمع والفرد معاً ، النظم السياسية تضع القوانين منبثقة من القيم الاجتماعية لتحقيق مصالح المجتمع ومنافعة ، ومن هنا تصبح الأخلاق الإطار الأوسع الذى تنبثق منه القوانين وينظم حياة الفرد والمجتمع والدولة.

**٥/ جدلية العلاقة بين الأخلاق والقانون:**

القواعد الأخلاقية عبارة عن القيم والاعراف والتقاليد الحميدة التي استقرت لفترات طويلة نسبياً في المجتمع، ودرج التعامل بها كقواعد قانونية لها صفة الإلزام في علاقات أفراد المجتمع ببعضهم البعض، وهذا ما أكده الذين أبحروا في البحث في هذا المجال، أمثال الدكتور/ حسن حرب اللصاصمة بقوله" يقصد بقواعد الأخلاق المثل التي استقرت في المجتمع لدعم السلوك الإيجابي والحض عليه، وقمع السلوك السلبي والنهى عنه بين أفراده، إذ تدعوا قواعد الأخلاق إلى كل فضيلة وتنهى عن كل رذيلة (٣٤).

القانون في اللغة كما جاء في معجم المعاني الجامع(اسم)، والجمع قوانين، والقانون مقياسٌ كل شيء وطريقُه ، وأصل كلمة القانون يوناني تعنى العصا المستقيمة، ثم انتقلت إلى الفارسية بنفس اللفظ (Kanun) بمعنى أصل كل شيء وقياسه، ثم عُربت عن الفارسية بمعنى الأصلٌ، ودرج استخدامها

بمعنى أصل الشيء الذى يسير عليه، أو المنهج الذى يسير بحسبه، أو النظام الذى على أساسه تنتظم مفردات الشيء وتتكرر على وتيرة واحدة بحيث تصبح خاضعة لنظام ثابت(٣٥)، الظاهرة القانونية بتلك الصفات ظاهرة حتمية كونية تحكم ظواهره الأشياء وبوطنها، وربنا سبحانه وتعالى خلق كل شيء في هذا الكون بقدر، أي بقانون، وقد جاءت تعريفات العلماء والباحثين والمهتمين للقانون متسقة مع هذا الصياغ، فقد عرفه الدكتور/ لؤي صافى بأنه مبدأ النظام الطبيعي والنظام الإنساني سواء، وهو أساس التناغم والانتظام مع أي وسط من الأوساط(٣٦).

العلاقة بين الأخلاق والقانون وثيقة الصلة، حيث توجد علاقة قوية بينهما فالقانون والأخلاق كلاهما متساويين في الأهمية، وقد نشأ بالعادة والتجربة السائدة في المجتمعات القبلية والبدائية القديمة، حيث كانت الأفكار السياسية والأخلاقية غير منفصلة عن بعضها البعض(٣٧)، وظلا على اتصال وثيق ولم تنقطع حلقة الاتصال بينهما منذ قديم الزمان حتى يومنا هذا، ولكى يكون القانون ذات أثر وفعالية لأبد أن يمثل العادات والتقاليد والموروثات الوطنية، وربما يستخدم القانون بعض الاستخدام لتعديل المعايير الخُلُقِية أو تحسينها كما يقول بذلك رايمون كارفيلد.

لكن من الضروري التمييز بين القواعد القانونية التي تحكم الظواهر الطبيعية والموجودات الأخرى وبين القواعد الأخلاقية التي تحكم السلوك الاجتماعي، الأولى كما قال عنها الدكتور/ لؤي صافي تتصف بالضرورة واللزوم والثانية تتصف بالاختيار والطوعية، وأكد هذا التوجه رايمون كارفيلد بقوله" القواعد الأخلاقية تتناول جميع مظاهر حياة الإنسان (أفكاره – أهدافه – أفعاله)، أما القانون فأنه يُعنىَ بأعمال الأفراد المحسوسة، أن كثير من الأمور التي تعدها قواعد الأخلاق خطأ أو أثماً ليست محرمة بالقانون (٣٨).

مصطلح القانون يشير إلى قواعد وأحكام يتبعها الناس فى علاقاتهم المختلفة وتنفذها الدولة أو الدول بواسطة المحاكم، أيضاً القانون مجموعة قواعد قانونية تحكم سلوك المجتمع، ووسيلة معنية بتقويم وتوجيه السلوك الإنساني وبتنظيم علاقات أفراد المجتمع مع بعهم البعض، وعلاقة الإنسان بنفسه، ومن أهم خصائصه يوجب الإلزام بتلك القواعد ولو كان ذلك بالقوة من جانب حكومة الدولة، وهذا ما أكده الدكتور/ حسن حرب اللصاصمة بقوله" القاعدة القانونية هي موجه سلوكي اجتماعي يستهدف تنظيم العلاقات الاجتماعية، على نحو ما هو مطلوب، وما هو منهى عنه(٣٩)، أيضاً يقصد بالقاعدة القانونية المنظم والموجه لسلوك أفراد المجتمع بطريقة عامة مجردة على سبيل الالتزام والجبر تحت طائلة توقيع الجزاء عند مخالفتها(٤٠)، كذلك عرف القانون بأنه" مجموعة القواعد التي تحكم سلوك الأفراد والتي يتعين على الأفراد الخضوع إليها ولو بالقوة(٤١)، وبتلك التعريفات يصبح الهدف من القانون:

تنظيم علاقات أفراد المجتمع ببعضهم البعض.

صيانة الحريات وتحقيق المصلحة العامة.

أكدت التعريفات السابقة أن ميدان تطبيق القواعد القانونية هو سلوكيات أفراد المجتمع، لذلك القواعد القانونية وثيقة الصلة بتوجيه وتنظيم سلوك أفراد المجتمع والعلاقة بينهما علاقة عضوية، وتتصف بالثبات النسبي، وهى قواعد ليست جامدة بل متحركة ومتغيرة وفقا للتطورات والتحولات الاجتماعية التي تعبر عنها تلك القواعد القانونية، لذلك لها طبيعة خاصة ومتميزة عن تلك المتعلقة بالموجودات الأخرى، أيضا أجمع العلماء والباحثين والمهتمين بأن للقواعد القانونية خصائص تتمثل في التالي:

قواعد عامة ومجردة: ليست خاصة بفرد معين، وتسري على جميع الأفراد والوقائع التى تتوافر فيها الشروط المعنية.

قواعد اجتماعية: لا يوجد قانون بلا مجتمع ولا يوجد مجتمع بلا قانون.
قواعد ملزمة -ضرورة اقترانها بجزارات: تلزم أفراد المجتمع الخضوع لها ولو كان جبراً.
تلتقي القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية في التالي:
الهدف، كلاهما يسعى إلى تنظيم المجتمعات الإنسانية وتحقيق أعلى مستويات الرفاهية.
كلاهما يتوجه إلى جميع أفراد المجتمع دون استثناء لاحد في حقبة تاريخية من الحقب التاريخية المختلفة.
ملزمة للأفراد وتقترن بجزاء معين لمن يخالفها.
تنظيم العيش بين أفراد المجتمع.
بالمقابل هنالك أوجه اختلاف وتمايز جوهرية بين قواعد الأخلاقية والقواعد القانونية من حيث (٤٢):
النطاق، قواعد الأخلاق أوسع نطاقاً من قواعد القانون، كونها تهتم بمقاصد الشخص ونواياه قبل أن تتجسد في العلن في صورة أقوال وأفعال، أما قواعد القانون لا يهمل النوايا والمقاصد ولكن يستلزم لكي يأخذها في الحسبان أن يكون لها مظهر خارجي يدلل عليها.
الغاية، غاية الأخلاق مثالية تهدف إلى تحقيق السلم الداخلي للإنسان والسمو به نحو الكمال سواء فى ذلك القواعد التي يكون موضوعها واجبات الفرد نحو نفسه، أو نحو غيره من أفراد المجتمع، بينما غاية القانون نفعية تهدف إلى إقامة النظام في المجتمع وحفظ أمنه واستقراره، وتهيئة الظروف المناسبة لتقدمه.
الجزاء، في نطاق القانون يكون الجزاء مادياً، له مظهر خارجي محسوس، كما تتولى السلطة العامة تنفيذه بما لديها من وسائل الجبر والإلزام، في حين يختصر الجزاء في نطاق الأخلاق على مجرد شعور المخالف بتأنيب الضمير، أو استنكار المجتمع للفعل المنافي للأخلاق.
ورغم ما قيل عن جدلية العلاقة بين الأخلاق والقانون يظل التداخل بينهما عميق وتظل العلاقة بينهما علاقة عضوية، وليست علاقة عابرة أو سطحية، ولا يمكن الحديث عن فصل بيّن بينهما.

٦/ مصادر الأخلاق:

تباينت مصادر الأخلاق بتباين المدارس الفكرية والفلسفية والايديولوجية، لاسيما بعد ظهور عهد الحداثة في الغرب، وقد أكدت جميعها على مجموعة من القيم الأخلاقية كالمساواة والعدالة والحرية وغيرها، إلا أن دلالاتها تباينت واختلفت عند البعض بسبب تنوع المصادر التي تنطلق منها هذه القيم، وهذا يحتم علينا الحديث عن مصادر الأخلاق أولاً ثم تناول الدلالات المختلفة لتلك القيم عند البعض.

الفلسفة الهندوسية: تتمثل مصادر الأخلاق في الفلسفة الهندوسية في سلسلة متنوعة من نصوص متنوعة ومختلفة المواضيع وهي عبارة عن (شروح وتعليقات)، تتمثل أهم تلك النصوص في التالي (٤٣):
الأوبانيشاد: تم تأليفها بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثامن بعده، وهي التي نشرت الأفكار الأساسية عن الهندوسية.
البورانا: تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وهي عبارة عن نصوص وحكايات قديمة تتعلق بتاريخ العالم.
التانترا: كُتبت في بداية العصر المسيحي في غالب الأحيان، وهي عبارة عن (الحبكة، السلسة، المذهب)، هدفها توجيه كل فرد في حياته الذاتية خاصة في طقوس التعبد الخاصة بالأهلة(وشاكتى) فقط، وعلمت التانترا طرق الاحتفالات وأشكال النشاطات وكيفية تقديم الاحتياجات الضرورة للوصول للخلاص
الفيدا (الحكمة والمعرفة)، وتتألف من أربعة كتب تتناول تصور لحياة الأربيين ومدارج الارتقاء لحياتهم، وتحتوي على مقالات من التمائم والرقى لدفع السحر، وبها مجموعة من الادعية والصلوات.

قوانين مانو ، وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد، مكونة من ٢٦٨٤ أية، ومقسمة إلى أثنى عشر فصلاً ، وهى عبارة عن شرح لمبادئ الهندوسية وأُسسها، وعلى سبيل المثال وليس الحصر يتناول الفصل الأول خلق العالم من خلال سلسلة من الانبثاق من الإله الذاتي ، أما الفصول الثاني وحتى السادس تناولت طريقة الحياة ، تنظيم السلوك لأفراد الطبقات العليا ، بينما تناول الفصل الثامن التعامل الداخلي ،الدعاوى المدنية والجنائية، والعقوبات، والتعرف على الاعراف والقوانين التي تحكم الطلاق والميراث وحقوق الملكية والمهن المشروعة لكل الطبقات .

كتب أخرى:

ممها بهارتا، وضعت عام ٩٥٠ ق.م تصف حرباً بين أمراء من الاسرة المالكة.

كيتا، تصف حرباً بين أمراء من اسرة ملكية واحدة.

يوجا، تحتوي على ٦٤ ألف بيت، أُلفت في بداية القرن السادس عبر مراحل طويلة على أيدي مجموعة من الناس وفيها أمور فلسفية ولاهوتية.

راما يانا، احتوت على الأفكار السياسية والدستورية.

الفلسفة السفسطائية: أرجعت المعرفة إلى الإحساس وانتهوا بأن الفرد مقياس الأشياء جميعاً، لذلك تعتبر مصدر الأخلاق هو الأنسان الفرد، الذي هو مقياس الخير والشر، ومقياس الصواب والخطأ، لذلك قال أحد زعمائهم – بروتا جوراس – ٤١٠ق.م بأن الحقائق وليدة الإحساسات والانطباعات الذاتية، وأن الحقائق الموضوعية غير مستقلة عن الفرد وظروفه، وتعددت الحقائق تبعاً لتعدد مدركيها والحالات التي تطرأ عليهم، ولا يوجد حق في ذاته أو باطل في ذاته (٤٤).

المذهب أو الفلسفة الكونفوشيوسية: المصادر الأساسية للمذهب أو الفلسفة الكونفوشيوسية عبارة عن مجموعة كتب عددها تسعة، خمسة منها قام كونفوشيوس بنقلها عن كتب الاجداد (الاقدمين)، والأربعة الأخرى ألفها كونفوشيوس وأتباعه الذين دونوا فيها أقواله مع بعض التفسيرات أو التعليقات، وأحد الكتب الأربعة وتحديداً كتاب منسيوس يتألف من سبعة كتب تتضمن كتاب الأخلاق والسياسة وهي تمثل جوهر فلسفته.

المصدر الثاني: المعتقدات الأساسية والمتمثلة في إله السماء وهو الإله الأعظم ويتوجهون إليه بالعبادة وتقديم القرابين وهى حصرية بالملك وامراء المقاطعات، بجانب ذلك يوجد إله الأرض ويعبده عامة الناس من أتباع الديانة أو الفلسفة الكونفوشيوسية ويوجد لكل من الشمس والقمر والجبال والسحاب إله ولكن عبادتها وتقديم القرابين لها محصورة فى الأمراء ، أيضاً تتجلى المعتقدات الأساسية في تقديس الملائكة وتقديم القرابين لها، وفى أرواح الأجداد حيث يؤمنون ببقاء تلك الأرواح ويقدمون القرابين لها بهدف إدخال السرور عليها، إذ يوجد في كل بيت معبد لأرواح الاموات ولألهه المنزل.

المصدر الثالث: الموروث القومي أو العادات والتقاليد الموروثة، الإنسان في الفلسفة الكونفوشيوسية يكتسب أخلاقه ومعتقداته وفلسفته في الحياة من المجتمع الذي يحيى فيه.

البوذية: بوذا مؤسس الفلسفة أو لمذهب البوذي لم يترك لأتباعه مخطوطاً أو كتاباً يحمل فلسفته وأرائه ومعتقداته وإنما كانت رسالته وتعليماته شفوية، وبعد وفاته قام أتباعه ومريديه بتجميع تعاليمه ومواعظه فى مجموعات ثلاث عرفت باسم تريبيتاكا ( Tripitaka) أو السلات الثلاث التي تضمنت خلاصة أقوال وتعاليم سيدهارتا غاوتاما ، أي بوذا والتى أستوعبتها وحفظتها ذاكرة أتباعه(٤٥) وهى:

سوتا: Sutta: خطب وأحاديث.
فينايا: Vinaya: عبارة عن سلوك نظام النساك، أي الكتابات الى تتعرض إلى الجانب التنظيمي والأخلاقي لحياة الكهنة، وتتضمن (٢٢٥) قاعدة حول سلوك الرهبان والراهبات البوذيات.
آبيذاما: Abidhamma:(مذاهب إضافية) وهي مجموعة أعمال نفسية وراثية، تتضمن مناقشات في الفلسفة والعقائد وغيرها من الموضوعات التي تمس العقيدة البوذية.

بجانب هذه السلات الثلاث يوجد نصان أساسيان في عقيدة التيرافادا كالتالي:
النص الأول: يرجع إلى القرن الثاني الميلادي يتناول جوهر العقيدة البوذية.
النص الثاني: كتب في القرن الخامس الميلادي بواسطة الراهب بوداغويا.

هنالك عدد من النصوص الاخرى التي كتبت بواسطة الفرق والمذاهب البوذية التي انقسمت على نفسها بعد وفاة بوذا.

اليهودية: يعتمد اليهود في عقيدتهم وشريعتهم وأفكارهم وتاريخهم وقراراتهم على المصادر التالية:
المصدر الأول: العهد القديم (التوراة أو الكتاب المقدس)، عبارة عن مجموعة من المكتوبات (الأسفار) جمعها رجال المجمع الديني الأكبر عام (٤٤٤ ق.م) وصارت تعرف بشريعة موسى (علية السلام) ويعتبرونها وحياً سماوياً ومجموعها تسع وثلاثون (٣٩) سفراً (كتاباً)، العهد القديم كتاب مقدس عند اليهود الأرثزوكس والنصارى معاً، مع وجود بعض الاختلافات حول مضامينه وترتيب أسفاره، ويعتقد اليهود الأرثزوكس أن العهد القديم وجد قبل خلق العالم، وأنه كان بمثابة آلة الخلق التي استخدمها الله تعالى في عملية الخلق (٤٦).
المصدر الثاني: التلمود، يفيد المصطلح التعاليم أو الشرح والتفسير، ويشتمل على مجموعة من الأحكام الشرعية التفصيلية ذات العلاقة بمناشط الحياة بأسرها كمناشط الحياة المدنية والاجتماعية والأحوال الشخصية وأحكام الجنايات والمعاملات وغيرها (٤٧)، وهي حسب زعم اليهود شريعة شفوية أعطيت لسيدنا موسى عليه السلام، يتكون التلمود من قسمين:
الأول: المشنا (المعرفة)، وهي التعاليم الشفهية، وهي عبارة عن تفسير وتوضيح لمراد الله من تعاليم التوراة.
الثاني: الجمارا، (الشرح والتعليق): عبارة عن روايات ومسموعات عن الحاخامات وتحتوي على إيضاحات وشرح ومختصر البحوث والمجادلات التي حصلت في معاهد الدرس من أجل هذه الشروح والتفاسير (٤٨)

المسيحية: للأخلاق في المسيحية أو لدى الكنيسة الغربية بصورة عامه مصادران هما (٤٩):
المصدر الأول: الإنسان، يبقى أن يصوغ بنفسه المبادئ والوصايا (الأخلاق) ولا تملأ علية من الخارج بشرط أن يكون إنساناً ناضجاً وسوئ وجامعي الشخصية، وذلك ما يطلق علية الانسان الحقيقي الذي تشابه حياته الطبيعة الإلهية التي تتحقق في إتباعه لتعاليم المسيح، لان الأخلاق المسيحية لا توجد إلا كترجمة للحياة في المسيح، والأخلاق المسيحية هي أخلاق اتحاد الانسان بجسد المسيح وعيشه بنعمة الروح القدس من خلال منظور القيامة.
المصدر الثاني: الإعلان الإلهي، وقد اكتمل بمجيء السيد المسيح، وهو بمثابة الدين المسيحي أو تعاليم المسيحية بصورة عامه، وله مصدران اساسيان هما:

الكتاب المقدس (العهد القديم – العهد الجديد)، في العهد القديم يظهر إعلان الله على نحو غير تام لأنه مؤدّب يرشدُ إلى المسيح، ويمثل المرحلة التمهيدية من إعلان الله، العهد الجديد هو كتاب الكنيسة فيجدُ الكتاب المقدس تمامه وكماله.

التقليد الشريف: عبارة عن وسائل تعبر عن الخبرة العميقة للكنيسة ولقيادتها الروحية التاريخية والقائمة، وتتضمن:

العقائد ودساتير الإيمان (عقائد الكنيسة ودساتيرها) وكل النصوص المقدسة فى حياة الكنيسة.

القوانين المقدسة، صاغتها الكنيسة لمواجهة حياة أبنائها وحل مشاكلهم، ولها أهمية كبرى فى الأخلاق المسيحية لأنها تحتوي على مادة غنية بالأخلاق المسيحية.

النصوص الأبائية، عبارة عن نصوص أباء الكنيسة وكتابها، تمثل المصدر الأوسع الذي تستقى منه الأخلاق المسيحية مادة غنية، إضافة إلى تلك النصوص توجد نصوص كثيرة تتناول مواضيع خُلُقيةَ مثل: الأبحاث المنهجية في مؤلفات اللأهوتيين الإسكندرانيين العظام – قصائد غريغوريوس – مصنف القديس كاسيان عن قوانين الحياة المشتركة وعلاج الشرور الثمانية الرئيسية وغيرها.

سير القديسين، لها قيمة مهمة جداً في الأخلاق المسيحية، إذ احتلت مركزاً مرموقاً في الكنيسة الأرثوذكسية.

نلاحظ توافق بين مصادر الأخلاق في المسيحية أو لدى الكنيسة في الغرب ومصادر الأخلاق لدى المدرسة الليبرالية التي تعتبر أن للأخلاق ثلاثة مصادر هي:

الفطرة: النفس البشرية بمختلف حاضناتها مفطوره ومجبولة على حب الأخلاق الحسنة كالكرم، الشجاعة، المروؤة العدل، ونحو ذلك، وكره الأخلاق السيئة كالظلم، الخيانة، القدر، الكذب وغيرها.

الدين: المثل والقيم والمبادئ الأخلاقية تمثل الاساس والجزء الأكبر في دعوة الأديان، والعلاقة بين الاديان والأخلاق علاقة عضوية، والاديان تشكل السند والعضد القوى للمثل والقيم الأخلاقية، وللمعايير والممارسة الأخلاقية.

العرف الاجتماعي: لكل المجتمعات مثل وقيم وأعراف وتقاليد وموروثات محل احترام وتبجيل، تكونت عبر العصور والازمان، وأصبحت جزء من المنظومة الأخلاقية للمجتمع، الالتزام بها يعتبر سلوكاً حميداً، ومخالفتها تمثل سلوكاً مشيناً قد يعاقب عليه فاعله، وأهم مصادره المصدرين السابقين (الفطرة – الدين).

الإسلام: القران الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان للأخلاق في الاسلام التي لا خلاف عليهما بين المسلمين، أيضا أجمع فقهاء الإسلام على استبعاد أهم مصادر الأخلاق الغربية الا وهو العرف الاجتماعي كمصدر للأخلاق في الإسلام، بالمقابل وقع الخلاف بين فقهاء الإسلام حول بقية المصادر الأخرى.

يعتقد بعض فقهاء الإسلام أن العرف الاجتماعي، أي التاريخ والمجتمع والإنسان كمصدر للأخلاق يؤدى إلى تناقض، فكيف يصبح ما هو كائن مصدراً لما يجب أن يكون؟، والقيم الأخلاقية تعبر عن القدرة على تجاوز الواقع لإصلاحه وتغييره، فلولا القدرة على التجاوز لما كان أي تغييراً ممكناً (٥٠)، وعطفاً على ما سبق من نسق يعتقد الدكتور/ جمال محمد الزكي ان مصادر الأخلاق الإسلامية تتمثل في مصدرين فقط هما:

الوحي الإلهي – قراناً وسنة.

العقل السليم، يرشد الانسان الى الأخلاق الحميدة واجتناب الرذائل، والحاسة الخلقية فطرية في الانسان، وبذلك ابعد العرف الاجتماعي كمصدر للأخلاق متعارف علية في الفلسفة الغربية وبعض مناطق العالم.

الماوردي أرجع تشكيل الأخلاق وانبثاقها إلى أصلين هما الطبع والتطبع، فالأخلاق " بعضها خُلقْ مطبوع، وبعضها خُلقْ مصنوع، لأن الخلق طبع وغريزة، والتخلق تطبع وتكلف فتصير الأخلاق نوعين غريزية طُبع عليها، ومكتسبة تطبع بها"، الدكتور/ محمد المجذوب فقد اتفق مع الكثيرين من فقهاء المسلمين بتثبيت المصدرين الأول والثاني للأخلاق في الإسلام وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبالمقابل أختلف مع بعضهم في مصدر العقل، حيث يعتقد أن العقل لا يمكنه تشخيص حُسن وقُبح الأشياء دون الرجوع إلى معنى أمر الله ونهيه لاسيما في القضايا الأخلاقية الشائكة كحسن العدل، الصدق، الوفاء بالعهد، الأمانة، وكذلك قبح الظلم، الكذب، الخيانة، ونقض العهود ، ولكن أكد بأن العقل يمكنه تشخيص القبيح والحسن في بعض الموارد ، أما الأفعال الصادرة عن الميول والغرائز الإنسانية تكون موصوفة بالأخلاق متى ما تماهت مع الوصايا والتوجيهات الأخلاقية المضمنة في الدين.

في سياق متصل قسمت موسوعة الأخلاق الإسلامية مصادر الأخلاق في الإسلام بين مصدرين فقط لا ثالث لهما وهما:

القرآن الكريم: يعتبر المصدر الأول للأخلاق.

السنة النبوية: وتعتبر المصدر الثاني للأخلاق بعد القرآن الكريم، وتعرف بأنها مصدرا تشريعيا: وهي أقوال النبي(ص) وأفعاله وتقديراته.

بالمقابل تجاهلت الموسوعة أي مصادر أخرى كالعقل والعرف الاجتماعي، واعتبرت ذلك فيه تميز للإسلام الذي حَصرتْ مصادر الأخلاق فيه على كتاب الله تعالى وسنة النبي (ص)، وتلك المصادر كافية بأن تتسم الأخلاق الإسلامية بالشمول والكمال والصلاحية للتطبيق في كل زمان ومكان، وأنها قائمة على الإقناع العقلي والوجداني(العاطفي) معاً، كما أنها بعيدة كل البعد عن الرأي البشرى والنظام الوضعي والفكر الفلسفي حسب ما ترى موسوعة الأخلاق الإسلامية.

المعتزلة أحدى جماعات المسلمين خرجت عن قاعدة الإجماع التي أشرنا لها سابقاً، حيث قالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك، والحسن والقبح يتم تميزهما ومعرفتهما بالعقل ويعتقد المعتزلة ان الحسن والقبح ذاتيان وعقليان، أي أن العقل قادر على تمييزهما بشكل تلقائي دون حاجة لتدخل الوحى والنص أو النقل، ومعنى ذلك أن تحديد السلوك الأخلاقي وغير الأخلاقي لا اعتبار شرعي لهما ويستمدان وجودهما من العقل، والعقل عندهم هو الأصل والنص هو الفرع ولا يقدمون الفرع على الأصل، وبذلك يصبح المصدر الوحيد والأساسي للأخلاق عند المعتزلة هو العقل وليس الكتاب والسنة(٥١).

أما الأشاعرة الذين خاضوا معركة وجود للإسلام مع المعتزلة وقفوا في الطرف المقابل للمعتزلة فيما يتعلق بالحسن والقبح ويعتقدون أنهما شرعيان ونصيان، أي مصدرهما ليس العقل وانما الوحي والنص أو النقل، أي الكتاب والسنة.

أهل السنة والجماعة مصادر الأخلاق عندهم بجانب الكتاب والسنة الإجماع والقياس، وذلك ما أكده الأمام النووي شيخ مذهب أئمة الشافعية قال" أصول الدين أربعة هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس المعتبران وما خلف هذه الأربعة فهو بدعه ومرتكبه مبتدع، أما الدكتور/ عبد اللطيف محمد العبد يقول: أن الفكر الأخلاقي في الإسلام يتميز ويمتاز بأنه فكر ديني يستمد مصادره الأساسية من القرآن الكريم،

والسنة النبوية، وسيرة السلف الصالح: الصحابة، التابعين، وبعض الشخصيات المتميزة في تاريخ الإسلام (٥٢).

الماركسية: مصدر الأخلاق في الفكر الماركسي هو المجتمع، وذلك ما أشار اليه الدكتور/ محمد الجبر بقوله" بفضل العلاقات الاجتماعية تلعب القيم الأخلاقية كموجه للسلوك الإنساني، دوراً خاصاً بملاءمتها لوعى الفرد ولكل حالته النفسية مع العلاقات الاجتماعية المتبادلة المكونة في المجتمع (٥٣).

**الخاتمة**

الأخْلاقُ مهمة للأفراد والمجتمعات معاً، بل هي الركيزة الأساسية للسلم المجتمعي، والأخلاق هي الحياة الهانئة والمستقرة في جميع نواحيها، لو لا الأخلاق لتفشة الرذيلة والجريمة ولطُمس الحق في المجتمع، وللأخلاق دور رئيسي في بناء الفرد الصالح من خلال تذكية بواعث الخير في الفرد وتذكية روح الأخوة الإنسانية وتأسيس الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية ونحو ذلك، كذلك تلعب الأخلاق دور محوري في بناء المجتمع من خلال بناء مجتمع قوى مترابط أمن ومستقر، وبناء مجتمع متقدم ومتطور وحديث، وبناء مجتمع السعادة والرفاه.

أنقسم العلماء والباحثون إلى مجموعتين حول نسبية وإطلاق الأخلاق، المجموعة الأولى: دعت إلى نسبية الأخلاق وعارضت القيم المطلقة، المجموعة الثانية أو دعاة النظرية المطلقة أو المدرسة الواقعية رفضت دعوة الأولى (النظرية النسبية) ونادت بإطلاق الأخلاق، بالمقابل تباينت وجهة نظر فقهاء الإسلام في مسألة النسبية والإطلاق بين مناصر ومؤيد وتأرجحت مواقف الفئة الثالثة بين الفئتين.

بدأ الجدل الكثيف والمناظرات الفكرية حول جدلية العلاقة بين الأخلاق والسياسة منذ العصر الإغريقي وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، وبناء على ذلك توزع الباحثين والعلماء بين ثلاثة مجموعات، المجموعة الأولى ترى أن العلاقة بين الأخلاق والسياسة علاقة عضوية يصعب تجزئتها، والمجموعة الثانية تعتقد بوجود إمكانية أو فرصة للدمج بين السياسة والأخلاق رغم أنهما تفترقان، أما المجموعة الثالثة تقول بأن هنالك مجالين واضحين ومتميزين ولا يجوز الخلط بينهما، بالمثل بدأ الحديث عن جدلية العلاقة بين الأخلاق والقانون ولكن بنسبة اقل حدة، ورغم ما قيل عن هذه العلاقة يوجد تداخل وترابط قوي بين الأخلاق والقانون، كذلك تباينت دلالات القيم الأخلاقية واختلفت عند البعض بسبب تباين واختلاف مصادرها، وبناءً على ما سبق لقد توصل الباحث للنتائج التالية:

الأخلاق مهمة لتحقيق السلم المجتمعي.

الأخلاق أهم مصادر القيم الحميدة في المجتمعات.

تباينت وجهة نظر فقهاء الإسلام في مسألة النسبية والإطلاق.

بدأ الجدل حول العلاقة بين الأخلاق والسياسة من جهة، والعلاقة بين الأخلاق والقانون منذ فترة زمنية طويلة وما زال مستمراً.

أدي تباين مصادر الأخلاق إلي تباينت دلالات القيم الأخلاقية.

بناءً عليه يوصي الباحث بالتالي:

تضمين ثقافة التعايش السلمي وتقبل الآخر في المناهج الدراسية في مجتمعات دول العالم الثالث.

وضع الاستراتيجيات الكفيلة بدعم الوحدة الوطنية والاندماج القومي.

دعم حوار الأديان.

**قائمة المصادر والمراجع**


١- د/ سعيد إسماعيل على، القرآن رؤية تربوية، (مصر: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م)، ص٢٤٨.
٢- د/ سناء خضر، الفلسفة الخلقية والعلم – نظرة نقدية، (مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،٢٠٠٩م)، ص٥٧.
٣- ذكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص٣٠٢. ٣
٤- د/ كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق فى الإسلام، (الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع،٢٠١٥م)، ص٩٣
٥- أبى حامد الغزالى، مرجع سابق، ص٩٣٢.
٦- د/ خالد عبد الرحمن أحمد، مرجع سابق، ص٤٣-٤٤.
٧- د/ مصطفى السباعى، أخلاقنا الإجتماعية، (دمشق: دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ص٧.
٨- د/ محمد الجبر، مرجع سابق، ص٢٦.
٩- د/ خالد عبد الرحمن أحمد، مرجع سابق، ص٤٦
١٠- مبارك عمر بقنه، نقض المذهب النسبى. شبكة السنة النبوية وعلومها، https://www.google.com/search?sxsrf=ACYBGNQFD2byffkS0lLA0_pK2cTJxF0D5A:1570382791508&
١١- برنارد مايو – ترجمة د/ وفاء عبد الحليم محمود، فلسفة الصواب والخطأ – ومدخل إلى النظرية الأخلاقيةن (مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر/ د/ت)، ص١٨٦
١٢- بودانة عبدالهادى، الأخلاق النسبية والمطلقة، ٢٠٠٣/٣/٣، https://www.facebook.com/Boudana.A/posts/%D9%%82%D8%A7
١٣- د/ توفيق الطويل، مرجع سابق، ص٣١٤
١٤- محمود مرجان، مصدر سابق.
١٥- محمود مرجان، نفس المصدر السابق.
١٦- برنارد مايو، مرجع سابق، ص١٩٦
١٧- برنارد مايو، نفس المرجع السابق، ص١٩٦
١٨- بودانه عبدالهادى، مرجع سابق، https://www.facebook.com/Boudana.A/posts/%D9%%82%D8%A7
١٩- مبارك عامر بقنه، مرجع سابق، https://www.google.com/search?sxsrf=ACYBGNQFD2byffkS0lLA0_pK2cTJxF0D5A:1570382791508&
٢٠- شيخ الإسلام أبن تيمية – تقديم د/ محمد جميل غازى، (مصر: دار المدنى للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م)، ص٩٣. ٢٠
٢١- محمد الجبر، مرجع سابق، ص١٠٥
٢٢- د/ عبد اللطيف محمد العبد، الأخلاق فى الإسلام، (السعودية: مكتبة دار التراث،١٩٨٨م)، ص٢٤٥
٢٣- د/ احمد امين، ضحى الإسلام، (مصر: دار الكتاب العربى، ط١٠، ج٣، د/ت)، ص٤٨
٢٤24- أبى حامد الغزالى، مرجع سابق، ص٩١٧.
٢٥ - أبوبكر جابر الجزائرى، مرجع سابق، ص١١
٢٦- محمد الغزالى، تأملات فى الدين والحياة، (مصر: دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٢م)، ص١٦٣ ٢٦
٢٧- د/ محمد المجذوب، مرجع سابق، ص٢٥
٢٨- أكرم البنى، جدل العلاقة بين الأخلاق والسياسة، www.aljazeera.net
٢٩- د/ إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق ..و السياسة، مرجع سابق، ص٧٢

٣٠- أديب صعب، الأديان الحية – نشوؤها وتطورها، (بيروت: دار النهار للنشر، ط٢، ١٩٩٥م)، ص٨٧
٣١- د/ إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق ..والسياسة، مرجع سابق، ص٢٥٨
٣٢- إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص٧١
٣٣- نفس المرجع السابق، ص٧١
٣٤- د / حسن حرب اللصاصمة، دراسات فى المدخل إلى العلوم القانونية، (عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م)، ص٢٦
٣٥- موقع إقرأ، الإسلام والدستور، ٢٠١١/١١/١٣م، http://shamela.ws/index.php/book/31485
٣٦- د/ لؤى صافي، العقيدة والسياسة – معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، (ماليزيا: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، سلسلة قضايا الفكر الإسلامى(١١)،١٩٩٨)، ص١٦١
٣٧- رايمون كارفيلد كيتيل، مرجع سابق، ص٦٧ ٣٧
٣٨- رايمون كارفيلد كيتيل، نفس المرجع السابق، ص٢٤٩-٢٥٠ ٣٨
٣٩- د/ حسن حرب اللصاصمة، مرجع سابق، ص١٣
٤٠- د/ حسام الدين الأهوانى، ود/ حمدى عبد الرحيم، اصول القانون (القاهرة: ١٩٦٦م)، ص١٢،١١
٤١- قسم الدراسات والأبحاث، دراسة مؤجزة فى مادة: المدخل للعلوم القانونية، (عمان: دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، د/ت)، ص٥
٤٢- د/ ثروت عبد الحميد، مرجع سابق، ص٧٦-٨١
٤٣- موريس روبان، تاريخ الأفكار السياسية المقارنة، ترجمة/ دعد قناب عائدة، (المغرب: المركز الثقافى العربى، ٢٠٠٤م)، ص٢١٢. ٤٣
٤٤- د/ توفيق الطويل، مرجع سابق، ص٢٤
٤٥- موريس روبان، مرجع سابق، ص٢٤٠.
٤٦- د/ أحمد حسن القواسمة والإستاذ/ زيد موسى أبوزيد، مرجع سابق، ص٤٩٧-٤٩٨ ٤٦
٤٧- د/ أحمد حسن القواسمة والإستاذ/ زيد موسى أبوزيد، نفس المرجع السابق، ص٥١٢ ٤٧
٤٨- عبد الستار فتح الله سعيد، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، (الرياض: دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٤٠٢ه -١٩٨٢م)، ص٣١.
٤٩- جورج منزربذى، مرجع سابق، ص١٠-٢٠.
٥٠- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة – المدرسة الإسلامية-رسالتنا، (طهران: مكتبة النجاح، ١٩٨٢م)، ص١٣٠
٥١- فاخر السلطان، المعتزلة والأخلاق – النص يتبع العقل، https://elaph.com/Web/AsdaElaph/2007/11/283902.htm
٥٢- د/ عبد اللطيف محمد العبد، مرجع سابق، ص٨.
٥٣- د/ محمد الجبر، مرجع سابق، ص٢٥